أكاديمية الإمام الذهبي
للعلوم الشرعية

المنتقى من "تاريخ الخلفاء"
للسيوطي
في سؤال وجواب
(٣)
خلافة عثمان بن عفان
رضي الله عنه
(٢٣ / ٣٥هـ)

إعداد
محمود عبد الحكيم رحمة
عفا الله عنه والمسلمين أجمعين

أكاديمية الإمام الذهبي للعلوم الشرعية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد...

فهذه فصول منتقاة من تاريخ الخلفاء للسيوطي رحمه الله تعالى في سيرة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، في صيغة سؤال وجواب، ونسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما يعلمنا، وأن يجعله حجة لنا يوم نلقاه.

س١: ما اسم عثمان بن عفان رضي الله عنه كاملاً؟

ج: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كِلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب، القرشي، الأموي، المكي، ثم المدني، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله.

س٢: من هي أم عثمان بن عفان رضي الله عنه؟

ج: هي أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن مناف، وهي بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم.

س٣: متى ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه؟

ج: ولد في السنة السادسة من عام الفيل، وأسلم قديمًا، وهو ممن دعاه أبو بكر الصِّدّيق إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة.

س٤: من هما بنتا النبي صلى الله عليه وسلم اللتان تزوجهما عثمان بن عفان رضي الله عنه؟

ج: تزوج رقية بنت الرسول –صلى الله عليه وسلم– قبل النبوة، وماتت عنده في ليالي غزوة بدر، فتأخر عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضرب له بسهمه وأجره، فهو معدود في البدريين بذلك.

وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة، فزوجه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعدها أختها أم كلثوم، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة.

س٥: لماذا سمي عثمان بن عفان بذي النورين؟

ج: عن عبد الله بن أبان الجعفي قال: قال لي خالي حسين الجعفي: تدري لِمَ سُمّي عثمانُ ذا النورين؟ قلت: لا، قال: لم يجمع بين بنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غيرُ عثمان، فلذلك سمي ذا النورين.

س٦: اذكر وصف عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ج: كان رجلًا رَبْعَةً (أي: ليس بالقصير، ولا بالطويل)، حسن الوجه، أبيض، مشربًا حمرة، بوجهه نكتات جدري، كثير اللحية، عظيم الكراديس (أي: رؤوس العظام، أي: ضخم الأعضاء)، بعيد ما بين المنكبين، خَدْل (أي: ممتلئ) الساقين، طويل الذراعين، شعره قد كسا ذراعيه، أحسن الناس ثغرًا (مقدمة الأسنان)، جمته (أي: شعره) أسفل من أذنيه، يخضب بالصفرة.

كان في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه؛ فهو عريض الجاه ثري، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه، لم يسجد في الجاهلية لصنم قط، ولم يقترف فاحشة قط، فلم يشرب خمرًا قبل الإسلام. ولحسن خلقه، ومعاملته؛ أحبته قريش حتى ضربت العرب المثل بحبها له. وفي ذلك يقول الشعبي: كان عثمان في قريش محبباً، يوصون إليه، ويعظمونه، وإن كانت المرأة من العرب تُرقِّص صبيها وهي تقول:

أُحِبُّك والرحمن حبَّ قريش لعثمان

س٧: متى أسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه؟

ج: قال ابن إسحاق: وكان أول الناس إسلامًا بعد أبي بكر، وعلي، وزيد بن حارثة، فهو رابع أربعة، وكان عمره حينها ٣٤ سنة.

س٨: اذكر كلمة مختصرة في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ج: هو من السابقين الأولين، وأول المهاجرين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو عنهم راضٍ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن، بل قال ابن عبّاد: لم يَجمع القرآن من الخلفاء إلا هو والمأمون.

وقال ابن سعد: استخلفه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على المدينة في غزوته إلى ذات الرقاع، وإلى غطفان.

س٩: كم عدد الأحاديث التي رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم؟

ج: روي له عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مائة حديث، وستة وأربعون حديثًا (١٤٦ حديثًا).

س١٠: اذكر شيئًا من تحمله للأذى في سبيل إسلامه.

ج: عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، قال: لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية، فأوثقه رباطًا، وقال: ترغب عن ملة آبائك إلى دينٍ محدَث؟ والله لا أدعك أبدًا حتى تدع ما أنت عليه، فقال عثمان: والله لا أدعه أبدًا، ولا أفارقه، فلما رأى الحَكم صلابته في دينه تركه.

س١١: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل عثمان رضي الله عنه.

ج: من هذه الأحاديث:

١– عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ – قَالَ مُحَمَّدٌ (هو ابن أبي حرملة أحد رواة السند): وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ – فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: "أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ"(١).

٢– وعن أبي موسى الأشعري قال: استفتح عثمانُ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: "ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ"(٢).

(١) مسلم (٢٤٠١).

(٢) البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

٣- وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: "اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ"(٣).

٤- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ. فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟(٤).

بئر رومة: كانت بئرًا لأحد اليهود فاشتراها عثمان منه وتصدق بها على المسلمين يشربون منها مجانًا.

٥- وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْفِ دِينَارٍ، حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: "مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ. مَرَّتَيْنِ"(٥).

س١٢: اذكر شيئًا من أقواله وعبادته رضي الله عنه.

ج: عرض القرآن الكريم كاملا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته.

ومن أشهر تلاميذ عثمان في تعلم القرآن الكريم أبو عبد الرحمن السلمي، والمغيرة بن أبي شهاب، وأبو الأسود، وزر بن حبيش.

ومن أقواله في القرآن الكريم:

١- لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل.

٢- وقال: إني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله (يعني المصحف).

٣- وقال: حُبب إليَّ من الدنيا ثلاث: إشباع الجيعان، وكسوة العريان، وتلاوة القرآن.

٤- وقال: أربعة ظاهرهن فضيلة وباطنهن فريضة: مخالطة الصالحين فضيلة والاقتداء بهم فريضة، وتلاوة القرآن فضيلة والعمل به فريضة، وزيارة القبور فضيلة والاستعداد للموت فريضة، وعيادة المريض فضيلة واتخاذ الوصية منه فريضة. وقال: أضيع الأشياء عشرة: عالم لا يُسْأل عنه، وعلم لا

(٣) البخاري (٣٦٧٥).

(٤) البخاري (٢٧٧٨).

(٥) الترمذي (٣٧٠١). وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٦٠٧٣).

يُعمل به، ورأي صواب لا يُقبل، وسلاح لا يُستعمل، ومسجد لا يُصلى فيه، ومصحف لا يُقرأ فيه، ومال لا يُنفق منه، وخيل لا تُرْكب، وعلم الزهد في بطن من يريد الدنيا، وعمر طويل لا يتزود صاحبه فيه لسفره.

٥- وكان رضي الله عنه حافظًا لكتاب الله، وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف، فقيل له في ذلك فقال: إنه مبارك جاء به مبارك.

٦- وما مات عثمان حتى خُرّق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه.

٧- وقالت امرأة عثمان يوم الدار: اقتلوه أو دعوه، فوالله لقد كان يحيي الليل بالقرآن في ركعة. وقد ذُكر عنه أنه قرأ القرآن ليلة في ركعة لم يصل غيرها. وقد تحقق فيه قول الله تعالى: "أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ" [الزمر: ٩](٦).

س١٣: اذكر شيئًا من صفاته رضي الله عنه.

ج:

١- سماحته رضي الله عنه.

عن عَطَاء بْنِ فَرُّوخَ مَوْلَى الْقُرَشِيِّينَ: أَنَّ عُثْمَانَ اشْتَرَى مِنْ رَجُلٍ أَرْضًا، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ مِنْ قَبْضِ مَالِكَ؟ قَالَ: إِنَّكَ غَبَنْتَنِي، فَمَا أَلْقَى مِنَ النَّاسِ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَلُومُنِي. قَالَ: أَوَ ذَلِكَ يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَاخْتَرْ بَيْنَ أَرْضِكَ وَمَالِكَ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا، وَبَائِعًا وَقَاضِيًا، وَمُقْتَضِيًا "(٧).

٢- عفوه رضي الله عنه.

عن عمران بن عبد الله بن طلحة: أن عثمان بن عفان خرج لصلاة الغداة، فدخل من الباب الذي كان يدخل منه، فزحمه الباب فقال: انظروا، فنظروا فإذا رجل معه خنجر أو سيف، فقال له عثمان: ما هذا؟ قال: أردت أن أقتلك، قال: سبحان الله!! ويحك، علام تقتلني؟ قال: ظلمني

(٦) انظر في ذلك: تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٢٥٧).

(٧) أحمد (٤١٠). وهو حسن لغيره.

عاملك باليمن، قال: أفلا رفعت ظُلامتَك إليَّ، فإن لم أُنصفك أو أُعديك على عاملي أردتَ ذلك مني؟ فقال لمن حوله: ما تقولون؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، عدو أمكنك الله منه، فقال: عبد همَّ بذنب فكفّه الله عني، ائتني بمن يكفل بك، لا تدخل المدينة ما وليتُ أمر المسلمين، فأتاه برجل من قومه فكفل به، فخلى عنه.

٣- تواضعه رضي الله عنه.

عن عبد الله الرومي قال: كان عثمان بن عفان يأخذ وضوءه لنفسه إذا قام من الليل، فقيل له: لو أمرت الخادم كفاك، قال: لا، الليل لهم يستريحون فيه.

وكان من تواضعه واحترامه لعم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا مر به وهو راكب نزل حتى يتركه العباس احترامًا وتقديرًا له.

٤- حياؤه رضي الله عنه.

ذكر الحسن البصري -رحمه الله- عثمان بن عفان يومًا وشدة حيائه فقال: إنه ليكون في البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه ثوبه ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه.

٥- كرمه رضي الله عنه.

كان عثمان من أكرم الأمة وأسخاها، وله في ذلك مواقف كثيرة، منها:

١- تجهيزه لجيش العسرة في غزوة تبوك.

٢- وشراؤه لبئر رومة وتصدقه به على المسلمين.

٣- وتوسيعه للمسجد النبوي في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٤- وتصدقه بالقافلة المحملة بالخيرات في عصر الصديق.

٥- وكان يعتق كل جمعة رقبة في سبيل الله منذ أسلم، فجميع ما أعتقه ألفان وأربعمائة رقبة تقريبًا.

وقد روى أنه كان له على طلحة بن عبيد الله -وكان من أجود الناس- خمسون ألفًا، فقال له طلحة يومًا: قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال له عثمان: هو لك معونة على مروءتك (٨).

(٨) انظر: صحيح التوثيق في سيرة عثمان بن عفان، لمجدي فتحي السيد (ص٢٦-٢٩).

س١٤: اذكر أهم الفتوحات والأحداث في عهد عثمان رضي الله عنه.

ج: من أهم الفتوحات والأحداث في عهده رضي الله عنه:

أحداث عام (٢٣هـ)

١- في سنة خلافته فتحت الرَّي، وكانت فتحت وانتقضت.

٢- وفيها أصاب الناس رُعافٌ كثير (وهو الدم الذي يسيل من الأنف)، فقيل لها: سنة الرعاف، وأصاب عثمان رعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى.

٣- وفيها فُتح من الروم حصون كثيرة.

٤- وفيها ولّى عثمانُ الكوفةَ سعدَ بن أبي وقاص، وعزل المغيرة بن شعبة.

أحداث (عام ٢٥هـ)

- عزل عثمان سعدًا عن الكوفة، وولى الوليد بن عقبة بن أبي مُعْيطٍ، وهو صحابي أخو عثمان لأمه.

أحداث (عام ٢٦هـ)

١- زاد عثمان في البيت الحرام ووسعه واشترى أماكن للزيادة.

٢- وفيها فتحت سابور.

أحداث (عام ٢٧هـ)

١- غزا معاوية قبرص، فركب البحر بالجيوش، وكان معهم عبادة بن الصامت، وزوجته أم حرام بنت مِلحان الأنصارية، فسقطت عن دابتها، فماتت شهيدة هناك، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرها بهذا الجيش، ودعا لها بأن تكون منهم فدفنت بقبرص.

٢- وفيها فتحت أَرَّجان، ودارَا بَجِرد.

٣- وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي السرح، فغزا أفريقية فافتتحها سهلًا وجبلًا، فأصاب كل إنسان من الجيش ألف دينار، وقيل: ثلاثة آلاف دينار.

أحداث عام (٢٩هـ)

١- فتحت إصطخر، وغيرها.

٢- وفيها زاد عثمان في مسجد المدينة ووسعه، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عُمُده من الحجارة، وسقفه بالساج، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع.

أحداث عام (٣٠هـ)

١- فتحت جُور، وبلاد كثيرة من أرض خراسان، وفتحت نيسابور، وطوس، وسَرْخَس، ومرو، وبيهق.

٢- ولما فتحت هذه البلاد الواسعة كثر الخراج على عثمان، وأتاه المال من كل وجه، حتى اتخذ له الخزائن وأدرّ الأرزاق، وكان يأمر للرجل بمائة ألف بدرة في كل بدرة أربعة آلاف أوقية.

أحداث عام (٣٣هـ)

- فيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح الحبشة.

أحداث (عام ٣٤هـ)

- أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص ورضوا بأبي موسى الأشعري.

أحداث (عام ٣٥هـ)

- فيها قتل عثمان رضي الله عنه، كما سيأتي تفصيله.

س١٥: اذكر قصة مبايعة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة؟

ج: أخرج البخاري في صحيحه (٣٧٠٠) في قصة مقتل عمر رضي الله عنه فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلاَ خِيَانَةٍ،....، فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلاَثَةٍ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ،

فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالإِسْلاَمُ، لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ؟ فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لاَ آلُ عَنْ أَفْضَلِكُمْ؟ قَالاَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالقَدَمُ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ، وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلاَ بِالْآخَرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ المِيثَاقَ قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ، فَبَايَعَهُ، فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ ".

وفي صحيح البخاري أيضًا (٧٢٠٧) عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ، أَنَّ الرَّهْطَ الَّذِينَ وَلَّاهُمْ عُمَرُ اجْتَمَعُوا فَتَشَاوَرُوا، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «لَسْتُ بِالَّذِي أُنَافِسُكُمْ عَلَى هَذَا الأَمْرِ، وَلَكِنَّكُمْ إِنْ شِئْتُمُ اخْتَرْتُ لَكُمْ مِنْكُمْ»، فَجَعَلُوا ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَلَمَّا وَلَّوْا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَمْرَهُمْ، فَمَالَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَتَّى مَا أَرَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَتْبَعُ أُولَئِكَ الرَّهْطَ وَلاَ يَطَأُ عَقِبَهُ، وَمَالَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُشَاوِرُونَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَصْبَحْنَا مِنْهَا فَبَايَعْنَا عُثْمَانَ، قَالَ المِسْوَرُ: طَرَقَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ هَجْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَضَرَبَ البَابَ حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَقَالَ: «أَرَاكَ نَائِمًا فَوَاللَّهِ مَا اكْتَحَلْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِكَبِيرِ نَوْمٍ، انْطَلِقْ فَادْعُ الزُّبَيْرَ وَسَعْدًا»، فَدَعَوْتُهُمَا لَهُ، فَشَاوَرَهُمَا، ثُمَّ دَعَانِي، فَقَالَ: «ادْعُ لِي عَلِيًّا»، فَدَعَوْتُهُ، فَنَاجَاهُ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ عَلَى طَمَعٍ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَخْشَى مِنْ عَلِيٍّ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ لِي عُثْمَانَ»، فَدَعَوْتُهُ، فَنَاجَاهُ حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا المُؤَذِّنُ بِالصُّبْحِ، فَلَمَّا صَلَّى لِلنَّاسِ الصُّبْحَ، وَاجْتَمَعَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ عِنْدَ المِنْبَرِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَنْ كَانَ حَاضِرًا مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَأَرْسَلَ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ، وَكَانُوا وَافَوْا تِلْكَ الحَجَّةَ مَعَ عُمَرَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا عَلِيُّ إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ، فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ، فَلاَ تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا»، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، وَأُمَرَاءُ الأَجْنَادِ وَالمُسْلِمُونَ.

وعن أنس قال: أرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال: كن في خمسين من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى، فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت، فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحدًا يدخل عليهم ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمّروا أحدهم.

وعن ابن مسعود –رضي الله عنه– أنه قال: لما بويع عثمان أَمَّرْنا خير من بقي ولم نألُ (أي: لم نقصر).

س١٦: اذكر بعض النصوص والأقوال التي تثبت عدالة الصحابة رضي الله عنهم على سبيل العموم.

ج:

أولاً: تعريف الصحابي: هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به ومات على الإسلام.

ثانيًا: من الأدلة على عدالة الصحابة:

١- قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]

بين الله تبارك وتعالى أنه قد رضي عن المؤمنين الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، إذ علم ما في قلوبهم من الإيمان والصدق، فأنزل السكينة عليهم في ذلك الوقت، فهذه شهادة من الله تبارك وتعالى على صدق إيمان أولئك القوم الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة بيعة الرضوان، وكان عددهم ١٤٠٠ أو ١٥٠٠ صحابي.

٢- وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]

٣- وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

٤- وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

٥- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ"(٩).

(٩) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

٦- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] " وَالوَسَطُ: العَدْلُ(١٠).

ومن أقوال أهل العلم:

قال ابن عبد البر رحمه الله: "أجمع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول"(١١).

وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة"(١٢).

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: "على أنه لو لم يَرِد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه (أي: من الأدلة على عدالتهم) لأوجبت الحالُ التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين؛ القطع على عدالتهم والاعتقاد على نزاهتهم، وأنهم أفضل من المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين"(١٣).

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله : "إذا رأيت الرجلَ يطعنُ في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن القرآن عندنا حق، والسنة عندنا حق، وإنما نقل لنا القرآن

(١٠) البخاري (٤٤٨٧).

(١١) الاستيعاب (٨/١).

(١٢) الإصابة (١٧/١).

(١٣) الكفاية في علم الرواية (ص ٩٦).

والسنن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة"(١٤).

س١٧: اذكر بداية الفتنة في زمن عثمان رضي الله عنه وما أسبابها؟

ج: بدء الفتنة:

بدأت الفتنة في سنة (٣٤ هـ) عندما حاول بعض الجهلة أن يخرجوا على عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأمسك بهم ثم أنبهم (أي: عاتبهم) على فعلهم، وتركهم، ولكنهم لم يصبروا بل استعدوا أكثر وخرجوا مرة ثانية في سنة (٣٥ هـ) من ديارهم كأنهم يريدون الحج، ومروا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حاصروا أمير المؤمنين عثمان بن عفان في بيته حتى قتلوه شهيدًا بعد حصار دام أربعين يومًا، ومُنع خلالها من كل شيء حتى الصلاة في المسجد.

وأما أسباب الفتنة:

السبب الأول: وهو سبب رئيس، رجل يهودي يقال له عبد الله بن سبأ.

وأظهر ابن سبأ بعض العقائد اليهودية، واستغل الأعراب، فأخذ يشيع عندهم الأكاذيب مدّعيًا أن عثمان فعل كذا وكذا، وكتب كتبًا مزورة (هو ومن ساعده) على الزبير، وعلي، وطلحة، وعائشة، وغيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويختمونها بأختامهم المزورة، كلها فيها الإنكار على عثمان والتذمر من سياسته، وفي السابق لا توجد أجهزة اتصالات حديثة كما هو الآن، والمتلقون أعراب تأتيهم هذه الأخبار فيقبلون ويصدقون، فمال إليه غير واحد من ذوي الشقاق والنفاق.

وأما تزوير الكتب فقد قال مسروق: قالت عائشة: تركتموه (أي: عثمان) كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يُذبح الكبش.

فقال لها مسروق: هذا عملكِ كتبتِ إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه.

(١٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤١/٥٩).

فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت لهم سوادًا في بياض، حتى جلست مجلسي هذا.

قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها(١٥)، فكتبت كتب مزورة على ألسنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلها تذم عثمان بن عفان، فعبد الله بن سبأ هذا له أتباع في شتى الولايات، وكانوا يرسلون إليه، ويرسل إليهم، ويرسل بعضهم إلى بعض: فعل بنا الوالي كذا بأمر عثمان، وفعل بنا الوالي كذا بأمر عثمان، ذهبنا إلى المدينة ففعل عثمان بنا كذا، وعثمان فعل بأصحاب محمد كذا، وجاءتنا رسالة من الزبير بن العوام، جاءنا خطاب من علي بن أبي طالب، جاءنا كتاب من عائشة، جاءنا كذا، فصار الأعراب الذين لا يفقهون من دين الله تبارك وتعالى إلا الشيء اليسير يتأثرون بهذه الأمور، فغلت على عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه القلوب.

السبب الثاني: الرخاء الذي أصاب الأمة الإسلامية:

قال الحسن البصري رحمه الله: قلما يأتي على الناس يوم إلا ويقتسمون فيه خيرًا، حتى إنه ينادى: تعالوا عباد الله، خذوا نصيبكم من العسل، تعالوا عباد الله، خذوا نصيبكم من المال.

وذلك لأن الجهاد كان مشتهرًا في زمن عثمان رضي الله عنه، والرخاء من عادته أن يورث مثل هذه الأشياء، وهو التذمر، وعدم القبول، وذلك لبطر الناس، وعدم شكرهم.

السبب الثالث: الاختلاف بين طبع عثمان وطبع عمر.

كان عمر رضي الله عنه شديدًا، وكان عثمان رضي الله عنه حليمًا رءوفًا، غير أنه لم يكن ضعيفًا كما يدعي كثير من الناس، بل كان حليمًا، ولذلك عندما حاصروه في البيت قال: أتدرون ما جرّأكم عليَّ؟ ما جرأكم عليَّ إلا حلمي.

وقال عبد الله بن عمر: والله لقد نقموا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما تكلم منهم أحد.

إذن لماذا نقموا على عثمان؟ لأن عثمان كان يسامح ويترك ويفوت لهم تلك الأخطاء ويعفو رضي الله عنه وأرضاه.

(١٥) انظر: البداية والنهاية (٢٠٤/٧). قال ابن كثير: إسناده صحيح.

السبب الرابع: استثقال بعض القبائل لرئاسة قريش

القبائل العربية التي دخلت في الإسلام وبخاصة تلك التي ارتد بعض رجالها عن دين الله تبارك وتعالى ثم رجعوا بعد أن قوتلوا، رجع بعضهم إلى الإسلام عن قناعة، وبعضهم من غير قناعة، وبعضهم رجع وفي القلب شيء، أولئك استثقلوا أن تكون الرئاسة دائمًا في قريش، لماذا الرئاسة في قريش؟(١٦)

س١٨: اذكر أهم المآخذ التي أخذت على عثمان بن عفان رضي الله عنه، مع الأجوبة عليها.

ج: عدد المآخذ التي أخذت على عثمان رضي الله عنه حوالي ١٨ مأخذًا(١٧).

ومن أهم المآخذ التي أخذت عليه:

الأول: تولية أقاربه.

الثاني: نفي أبي ذر إلى الربَذَة. (وهي قرية تبعد عن المدينة ١٠٠كم في طريق الرياض)(١٨).

الثالث: إعطاء مروان بن الحكم خُمُس إفريقية.

الرابع: إحراق المصاحف وجمع الناس على مصحف واحد.

الخامس: ضرب ابن مسعود حتى فُتقت أمعاؤه، وضرب عمار بن ياسر حتى كُسرت أضلاعه.

(١٦) وهناك أسباب أخرى بلغت اثني عشر (١٢) سببًا. انظر: عثمان بن عفان شخصيته وعصره، للصلابي (ص ٣١٤- ٣٥٠)، وحقبة من التاريخ، لعثمان الخميس (ص١٢٦).

(١٧) انظرها بالتفصيل مع أجوبتها في العواصم من القواصم لابن العربي (ص٦٢).

(١٨) انظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن حسن شُرّاب (ص ١٢٥).

الأجوبة على هذه المآخذ:

الأول: تولية أقاربه:

مَن أقارب عثمان الذين ولاهم رضي الله عنه؟ أقارب عثمان الذين ولاهم رضي الله تبارك وتعالى عنه:

أولهم: معاوية. والثاني: عبد الله بن سعد بن أبي السرح. والثالث: الوليد بن عقبة. والرابع: سعيد بن العاص. والخامس: عبد الله بن عامر.

هؤلاء خمسة ولاهم عثمان، وهم من أقاربه، وهذا في زعمهم مطعن عليه، فلننظر إلى باقي ولاة عثمان رضي الله عنه: أبو موسى الأشعري، والقعقاع بن عمرو، وجابر المزني، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبو الأعور السلمي، وحكيم بن سلامة، والأشعث بن قيس، وجرير بن عبد الله البجلي، وعتيبة بن النهاس، ومالك بن حبيب، والنسير العجلي، والسائب بن الأقرع، وسعيد بن قيس، وسلمان بن ربيعة، وخنيس بن خبيش.

هؤلاء هم ولاة عثمان رضي الله عنه، وبنظرة سريعة نجد أن عدد الولاة من أقارب عثمان أقل بكثير من غيرهم، وبخاصة إذا علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يولي بني أمية أكثر من غيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من بني أمية؛ لأنهم كانوا كثيرين، وفيهم شرف وسؤدد "(١٩).

والولاة الذين ولاهم النبي صلى الله عليه وسلم واستعملهم من بني أمية هم: عتاب بن أسيد، وأبو سفيان بن حرب، وخالد بن سعيد، وعثمان بن سعيد، وأبان بن سعيد. هؤلاء خمسة كعدد الذين ولاهم عثمان رضي الله عنه.

ثم يقال بعد ذلك: إن هؤلاء الولاة لم يتولوا كلهم في وقت واحد؛ بل كان عثمان رضي الله عنه قد ولى الوليد بن عقبة، ثم عزله، فولى مكانه سعيد بن العاص فلم يكونوا خمسة في وقت واحد.

(١٩) منهاج السنة (٦/١٩٢).

وأيضا لم يتوف عثمان إلا وقد عزل أيضًا سعيد بن العاص. فعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة، وهم: معاوية، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقط.

المأخذ الثاني: نفي أبي ذر إلى الربذة:

الرواية الصحيحة في هذا الموضوع هي ما أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٠٦) عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: مَرَرْتُ بِالرَّبَذَةِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْزَلَكَ مَنْزِلَكَ هَذَا؟ قَالَ: "كُنْتُ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفْتُ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ فِي: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] " قَالَ مُعَاوِيَةُ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الكِتَابِ، فَقُلْتُ: " نَزَلَتْ فِينَا وَفِيهِمْ، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي ذَاكَ، وَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشْكُونِي، فَكَتَبَ إِلَيَّ عُثْمَانُ: أَنِ اقْدَمِ المَدِينَةَ فَقَدِمْتُهَا، فَكَثُرَ عَلَيَّ النَّاسُ حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَبْلَ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ ذَاكَ لِعُثْمَانَ "، فَقَالَ لِي: إِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ، فَكُنْتَ قَرِيبًا، «فَذَاكَ الَّذِي أَنْزَلَنِي هَذَا المَنْزِلَ، وَلَوْ أَمَّرُوا عَلَيَّ حَبَشِيًّا لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ».

فعثمان بن عفان لم يطرد أبا ذر إلى الربذة، ولم يرسله معاوية مهانًا من الشام إلى المدينة، وكل هذا من الكذب عليهم(٢٠).

المأخذ الثالث: إعطاء مروان بن الحكم خمس إفريقية:

لم يثبت أن عثمان فعل هذا، ولو كان فعل هذا فإن المقصود هو خمس الخمس، وذلك أن الغنيمة تقسم خمسة أخماس: أربعة فيها للمجاهدين، وخمس يقسم إلى خمسة أخماس، ذكرها الله في كتابه العزيز: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١] فسهم الله ورسوله هو للإمام، يضعه حيث شاء، والذي ذكروه هو أن عثمان وعد مروان إذا فتح إفريقية فإنه سيهبه خمس إفريقيا الخاص به، والصحيح أنه إنما جعله مكافأة لعبد الله بن أبي السرح إذا فتح إفريقية، يعني ولم يعطه مروان.

(٢٠) انظر: العواصم من القواصم (ص: ٧٣)، وحقبة من التاريخ لعثمان الخميس (ص ١٤٦).

الرابع: إحراق المصاحف وجمع الناس على مصحف واحد.

والقصة أخرجها البخاري في صحيحه (٤٩٨٧) أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، حَدَّثَهُ: أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ "، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ.

– والمصاحف التي أحرقها عثمان فيها أشياء من منسوخ التلاوة وقد أبقاه بعض الصحابة.

– وفيها: ترتيب السور على غير الترتيب الذي في العرضة الأخيرة التي عرضها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم.

– وفي بعض المصاحف تفسيرات لبعض الصحابة، لذلك أمر عثمان بإحراق تلك المصاحف، وكتب المصحف الوحيد وفيه القراءات، ولم يلغ القراءات الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال بعض أهل العلم: بل ترك حرفا واحدا فقط وهو ما كان على لسان قريش.

قال ابن العربي رحمه الله عن جمع القرآن وإحراق بقية المصاحف: "وأما جمع القرآن، فتلك حسنته العظمى، وخصْلتُه الكبرى، وإن كان وَجدها كاملة، لكنه أظهرها وردَّ الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذُ وعد الله بحفظ القرآن على يديه" (٢١).

(٢١) العواصم من القواصم (ص ٦٦).

الخامس: ضرب ابن مسعود حتى فتقت أمعاؤه، وضرب عمار بن ياسر حتى كسرت أضلاعه.

وهذا كذب وزور؛ ولو فتق أمعاء ابن مسعود ما عاش، فما فتق أمعاء ابن مسعود ولا كسر أضلاع عمار.

س١٩: اذكر قصة مقتل عثمان رضي الله عنه.

ج: بعد أن أثيرت هذه الأمور على عثمان خرج أناس من أهل البصرة وأناس من أهل الكوفة، وأناس من أهل مصر إلى المدينة في السنة الخامسة والثلاثين من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم يظهرون أنهم يريدون الحج، وقد أبطنوا الخروج على عثمان رضي الله عنه وأرضاه، واختُلف في أعدادهم، فقيل: إنهم ألفان من أهل مصر، وألفان من أهل الكوفة، وألفان من أهل البصرة، وقيل: إن الكل ألفان، وقيل: غير ذلك، وليست هناك إحصائية دقيقة، ولكنهم لا يقلون عن ألفين ولا يزيدون عن ستة آلاف بأي حال من الأحوال.

دخلوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أولئك القوم من فرسان قبائلهم جاءوا لعزل عثمان إما بالتهديد وإما بالقوة، وحاصروا بيت عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه في أواخر ذي القعدة، وأمروه أن يخلع نفسه من الخلافة، واستمر الحصار إلى الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم مقتل عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه.

وقيل: إن الحصار استمر أربعين يومًا، وقيل: غير ذلك، ولكنه لا يزيد عن الواحد والأربعين يومًا.

لما حوصر عثمان رضي الله عنه في بيته ومنع من الصلاة بل ومن الماء، فكان يصلي بالناس رجل من أئمة الفتنة.

أخرج البخاري (٦٩٥) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ خِيَارٍ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، – وَهُوَ مَحْصُورٌ – فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ، وَنَزَلَ بِكَ مَا نَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامُ فِتْنَةٍ، وَنَتَحَرَّجُ؟ فَقَالَ: «الصَّلاَةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ، فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ».

وقد دخل بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيت عثمان، كلهم يريد الدفاع عنه، وكان من أشهر الذين جلسوا عنده في بيته الحسن بن علي، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير،

وأبو هريرة، ومحمد ابن طلحة بن عبيد الله (السجاد)، وعبد الله بن عمر، وقد شهروا سيوفهم في وجه أولئك البغاة الذين أرادوا قتل عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه (٢٢).

* وجاءت أم المؤمنين صفية على بغلة يقودها مولاها كِنانة فلقيها الأشتر فضرب وجه بغلتها. فقالت: ردوني، لا يفضحني هذا الكلب (٢٣). ولكن عثمان أمر الصحابة بعدم القتال، بل إنه جاء في بعض الروايات أن الذين جاءوا للدفاع عن عثمان أكثر من سبعمائة من أبناء الصحابة، ولكن حتى هؤلاء السبعمائة لا يصلون إلى عدد أولئك البغاة على القول بأن أقل عدد أنهم ألفان.

* عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: كنت مع عثمان في الدار، فقال: أعزم على كل من رأى أنّ عليه سمعا وطاعة إلا كف يده وسلاحه.

* وعن ابن سيرين قال: جاء زيد بن ثابت إلى عثمان رضي الله عنه فقال: هذه الأنصار بالباب قالوا: إن شئت أن نكون أنصار الله مرتين كما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نكون معك. فقال عثمان: أما قتال فلا.

* ودخل ابن عمر على عثمان، فقال عثمان: يا ابن عمر انظر ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلعها، ولا تقتل نفسك. فقال ابن عمر: إذا خلعتها أمخلد أنت في الدنيا؟ فقال عثمان: لا، قال عبد الله بن عمر: فلا أرى أن تخلع قميصًا قمّصكه الله فتكون سنة، كلما كره قوم خليفتهم، أو إمامهم خلعوه.

* وقال عثمان لعبيده: كل من وضع سلاحه فهو حر لوجه الله. فهو الذي منع الناس من القتال. ومع هذا فقد حُمل أربعة من شبان قريش ملطخين بالدماء محمولين كانوا يدافعون عن عثمان وهم: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، ومحمد بن حاطب.

(٢٢) البداية والنهاية (١٨٤/٧).

(٢٣) ابن سعد في الطبقات (١٢٨٠/٨) وإسناده حسن.

س٢٠: من الذي باشر قتل عثمان رضي الله عنه؟

ج: بعد أن حوصر عثمان، تسوروا عليه البيت، فقتلوه رضي الله عنه وهو واضع المصحف بين يديه.

قيل للحسن البصري (وكان الحسن البصري قد عاش تلك الفترة لأنه من التابعين): أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين أو الأنصار؟ فقال: كانوا من أهل مصر (٢٤).

ولكن الرؤوس معروفة وهم: كنانة بن بشر، ورومان اليماني، وشخص يقال له جبلة، وسودان بن حمران، ورجل يلقب بالموت الأسود من بني سدوس، وقيل: مالك بن الأشتر النخعي، هؤلاء كانوا من رءوس الفتنة التي قامت على عثمان رضي الله عنه.

أما من باشر قتله: فالمشهور أنه رجل مصري يقال له جبلة.

* عن عمرة بنت أرطأة قالت: خرجت مع عائشة سنة قتل عثمان إلى مكة، فمررنا بالمدينة فرأينا المصحف الذي قتل عثمان وهو في حجره فكانت أول قطرة قطرت من دمه على أول هذه الآية: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] قالت عمرة: فما مات منهم رجل سويا (٢٥).

* وعن محمد بن سيرين قال: كنت أطوف بالكعبة فإذا برجل يقول: اللهم اغفر لي، وما أظن أن تغفر لي. يقول: فتعجبت منه، فقلت: يا عبد الله ما سمعت أحدا يقول مثل ما تقول. فقال الرجل: إني كنت قد أعطيت الله عهدًا لإن مكنني من عثمان لأصفعنه، فلما قتل وضع في سريره في البيت فكان الناس يأتون ويصلون عليه وهو في بيته، فدخلت أُظهر أني أريد الصلاة، فلما رأيت أن البيت ليس فيه أحد، كشفت عن وجهه فصفعته وهو ميت فيبست يدي. قال ابن سيرين: رأيتها يابسة كأنها عود (٢٦).

(٢٤) تاريخ خليفة (ص ١٧٦) بإسناد صحيح.

(٢٥) أخرجه أحمد في كتاب فضائل الصحابة (١/٥٠١ رقم ٨١٧). وإسناده صحيح.

(٢٦) البداية والنهاية، لابن كثير (٧/٢٠٠).

س٢١: كيف قتل عثمان رضي الله عنه ولم يدافع عنه أحد من الصحابة؟

ج: لعدة أسباب:

السبب الأول:

أن عثمان هو الذي عزم عليهم بهذا فأمرهم أن يغمدوا سيوفهم ونهاهم عن القتال، واستسلم لقضاء الله تبارك وتعالى وقدره.

وهذا يدل على أمرين اثنين:

الأول: شجاعة عثمان.

والثاني: رحمته بأمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أدرك أن أولئك أعراب أجلاف وأنهم مفسدون، فرأى أنه لو قاتلهم الصحابة لكانت المفسدة أعظم من قتل رجل واحد، ولربما انتهى الأمر إلى قتل عدد كبير من الصحابة، وقد يتعدون إلى انتهاك الأعراض، وانتهاب الأموال، فرأى أن المصلحة أن يقتل هو ولا يقتل أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تهتك حرمة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

السبب الثاني:

أن عدد الصحابة كان أقل بكثير من عدد أولئك الخوارج، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على أربعة أماكن:

المكان الأول: مكة؛ لأن الموسم كان موسم حج، وقد خرج الكثيرون للحج، ولم يكونوا حاضرين.

الثاني: بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تمصروا الأمصار، عاشوا في الكوفة، والبصرة، ومصر، والشام، وغيرها من البلاد.

الثالث: في الجهاد.

المكان الرابع: هم الذين كانوا في المدينة ولم يكن عددهم مكافئا لعدد أولئك الخوارج.

السبب الثالث:

أن الصحابة بعثوا أولادهم للدفاع عن عثمان وما كانوا يتصورون أن الأمر يصل إلى القتل، وإنما حصار وعناد، وبعد ذلك يرجعون، أما أنهم يتجرؤون ويقتلون عثمان بن عفان فكان بعض الصحابة لا يرى أن الأمر يصل إلى هذه الدرجة. وأرجح هذه الأقوال الأول وهو أن عثمان رضي

الله عنه هو الذي منعهم من قتال أولئك الخوارج (٢٧)، ووقع قدر الله تعالى، وعند الله تجتمع الخصوم.

فرضي الله عنه وعن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعنا معهم بفضله وكرمه

أكاديمية الإمام الذهبي للعلوم الشرعية

(٢٧) انظر: حقبة من التاريخ (ص ١٦٤).